الغربة و الاغتراب و البحث عن الهوية
في رواية " كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس" لواسيني الأعرج.

قمرة عبد العالي
جامعة باتنة

ملخص

يسعى هذا المقال إلى محاولة تلمس ودراسة تجليات الغربة ، والاغتراب وتشظي الهوية التي تعيشها شخصيات رواية كريماتوريوم –سوناتا لأشباح القدس –للروائي واسيني الأعرج و ذلك رغبة في الكشف عن أنماط الغربة ، والاغتراب، وأسباب ازدواجية الهوية أو فقدانها . بالإضافة إلى رصد العلائق الرابطة بين هذه المصطلحات. وقد توقف هذا المقال عند ثلاثة محاور أساسية :

المحور الأول : "أنواع الغربة و أشكالها في رواية كريماتوريوم " ، وفيه تجلى نوعان من الغربة وهما ؛ الغربة المكانية ، والغربة الزمانية .

المحور الثاني : "أنواع الاغتراب وأشكاله في رواية كريماتوريوم "، وبرز فيه عديد الأنواع من الاغتراب ؛ كالاغتراب الجسدي ، اللغوي ، المكاني ...

وقي المحور الثالث : انصب المقال حول استيضاح نمط الهوية التي تتلبس الشخصية الروائية ، والبحث في أسباب التشرذم ، والتشظي بين هويتين متناقضتين.

ليخلص البحث ، إلى نتيجة مفادها أن هذه المصطلحات الثلاثة ؛ الغربة ، الاغتراب ، الهوية ، تجمع بينها صلات قوية و حميمة ، كما أن الهوية التشظية ، هي هوية مشوشة ومشوهة ، لم تستطع أن تجد جوابا لإشكاليتها الرئيسة : ما هو الوطن ؟

Résumé :

Cette étude vise à examiner la problématique de l'exil et de l'aliénation ainsi que celle de la fragmentation de l'identité chez les personnages du roman « *Crematorium. Sonate pour les fantômes de Jérusalem* » de Wassini Laredj. Il s'agit de faire ressortir les différentes formes de l'exil en rapport avec les diverses catégories de l'aliénation. Il est question aussi des origines du malaise identitaire qu'il s'agit de comprendre et d'analyser.

L'étude se développe à partir de trois axes :

-Le premier axe tente d'appréhender les différents types d'exils, tout en mettant l'accent essentiellement, sur l'exil spatial et l'exil temporel.

-Le deuxième axe s'attache à étudier la typologie de l'aliénation ainsi que ses formes dans « Crematorium ».

-Le dernier axe essaie de monter les différents rôles identitaires que les personnages du roman cherchent difficilement à incarner. Car nous sommes confrontés à des personnages problématiques.

L'étude révèle que les questions d'exil, d'identité et d'aliénation sont intrinsèquement liées et qu'elles sont imbriquées les unes dans les autres. Les personnages vivent, à des degrés divers, une pathologie existentielle qui s'origine dans un environnement culturel, politique et historique dramatique.

مقدمة

صدرت رواية "**كريماتوريوم –سوناتا لاشباح القدس –**" للروائي الجزائري واسيني الأعرج سنة 2008 .وتعد الرواية عملا تجريبيا ناضجا يوحي بتدفق إبداعي وفني واضح ، واختمار كبير للتجربة الروائية لدى هذا المبدع . فهي عمل يحاول الإبحار في غمار مشروع روائي جديد يضع الرواية في خضم مختبر متنوع الوسائل والآليات ، لتطعم فيه الرواية بكل التقنيات السردية و الغير سردية ، لتصبح هذه الرواية المطلة على شوارع الواقع و أرصفة قضاياه ومرايا وجوهه ، متماشية مع تلك المواضيع التي تتلمسها وتسعى إلى رصد نبضها وصداها ؛"**حيث تحول التجريب إلى هاجس يتصدر شواغل واسيني الأعرج الفكرية والجمالية**" [1]ولاسيما في هذا العمل الروائي الذي نحيطه الآن بدراستنا، والذي يستمتع بتجريب لذة الإدهاش فينا بعنوانه الغريب : " **المحرقة** "وهو ما يثير فينا عديد التساؤلات بعنوانه الفرعي :من هم أشباح القدس ؟ وهل هذه المحرقة هي محرقة للأجساد أم الأرواح ؟.

لكن هذه الرواية لا تلبث أن تشفي غليلنا بأجوبة فورية لاسيما عندما تفتتح هذه الأخيرة بعبارة السارد : " **أنا لم أر القدس إلا ثلاث مرات في حياتي ...**"[2] .

لنصل في آخر المطاف إلى تبني البحث في هذه البؤرة التي تنكشف خفايا تفاصيلها مع تقدم سيرورة الأحداث ، وانجلاء مساراتها ، والمتمثلة في " **الغربة والاغتراب والبحث عن الهوية في رواية كريماتوريوم**" .انطلاقا من انبناء هذه الرواية على أساس عالمين متناقضين : عالم الشرق (القدس) وهو الوطن والهوية، وعالم الغرب الذي يشكل فضاء الغربة والاغتراب و البحث عن الهوية المفقودة .فكان أن خلق من جراء هذه الثنائية المتنافرة، أزمة وجودية تتعمق انعكاساتها وتزداد في كيان الشخصية المؤطرة لهذا العمل الروائي و الحاملة لجراح الوطن، والغربة واغتراب المنفى؛ إنها أزمة تشظي الهوية بين هذين العالمين المتناقضين.

ملخص الرواية

تتشكل رواية " كريماتوريوم " من سلسلة سيرية متشظية ومتقطعة تتأرجح بين الماضي و الحاضر، عبر خيوط رفيعة من الذاكرة ، والحلم ، والتداعي، والوصايا ،تتزاحم فيها الأمكنة ، والأزمنة ، والشخصيات تائهة بين الوطن، والمنفى ، باحثة جميعها عن خيط هوية واحد يؤلف بينها .

وتتحدث الرواية في مجملها عن قضية اللاجئين الفلسطينيين الضائعين بين الجذور الضاربة في أعماق القدس ، والأجساد التائهة في فضاءات الاغتراب .فتنطلق أحداث هذه الرواية مع شخصية "يوبا" – وهو ابن الرسامة الفلسطينية (مي) التي هاجرت مع والدها إلى أمريكا هربا من التقتيل والاضطهاد اليهودي للفلسطينيين – الذي يعمل على تنفيذ وصايا أمه بنثر رماد جسدها الذي طلبت إحراقه بعد موتها ، وذر ذلك الرماد في مواطن متعددة من القدس .

ويحدث كل ذلك في جو من التناغم الموسيقي ، وتمازج الريشة مع الألوان بشتى تدرجاتها المفرحة والمحزنة ، إلى جانب تأوهات وتمزقات جراء المعاناة النفسية والجسدية التي تعاني منها (مي) نتيجة فقدانها للوطن والأهل ، وإصابتها بداء السرطان .

حول مفاهيم: الغربة والاغتراب والهوية

ورد في لسان العرب أن الغربة بمعنى التهجير و التغريب أي الطرد والنفي من الأرض أو الوطن [3].

وقد "**صار المفهوم العربي مكتملا في كلمة "غربة " التي اشتق من اسمها الاغتراب والتغريب والغرب ، وتعني النوى والألم ، والشؤم والفراق و البين والهجر لأسباب سياسية ، أو دينية أو اجتماعية وقد تكون روحية أو نفسية** " [4]

وإذا كان البحث في المعنى اللغوي لكلمتي غربة واغتراب قد يدخلنا في دائرة من المعاني التي قد تبدو مترا دفة نتيجة اشتقاقها من الجذر اللغوي " غرب " و التي تلتقي في أغلبها عند معنى الغربة المكانية بمعنى الاغتراب المادي .ولكننا إذا اتجهنا

صوب المعاجم الأجنبية وجدناها تتجاوز هذا المعنى المادي ، ليدل لفظ الاغتراب على **الدلالة المعنوية** له بدل **المادية** [5].

أما مصطلح الهوية فقد دل في معناه الأشمل على مجموع المحددات والمميزات التي تسم شخصية بعينها أو بمعنى آخر هي " **تلك المعلومات المسجلة في بطاقة التعريف أو بطاقة الهوية ، التي تشمل الاسم واللقب وتاريخ الميلاد ومكانه والنسب العائلي (...) وعنوان الإقامة ، بالإضافة إلى العلامات الجسدية المميزة ، كالطول ولون الشعر ولون العينين . وقد يضاف إلى هذا كله ديانة الشخص أو الطائفة التي ينتمي إليها، ولون بشرته كما هو الحال في بعض البلدان** "[6].إضافة إلى مختلف السمات النفسية التي يختص بها الفرد دون غيره ، والتي تشكل نسيجه المختلف المؤسس على فكرة إبراز فرديته و عدم الذوبان في ثقافة الجماعة ، أو المجتمع من أجل تأكيد وجوده المتفرد[7].

واستنادا إلى ما جرى عرضه من معان تتمحور حول مصطلحات ثلاثة : الغربة ، الاغتراب ، والهوية ، نستطيع أن نتلمس مدى التقارب الحاصل بين هذه المفاهيم الثلاثة ؛ فالغربة مولدة للاغتراب ولأزمة الهوية ، والهوية المتشظية بين المنفى والوطن حالة ولدتها الغربة ، والاغتراب من ناحية أخرى حالة نفسية أحدثتها الغربة المفروضة ، والهوية الضائعة.لذلك مثلنا لهذه العلاقة المتبادلة بهذا الرسم البياني (الثالوث)(اغتراب ، غربة ، هوية) وهو الإطار الذي ستنصب حوله دراستنا .

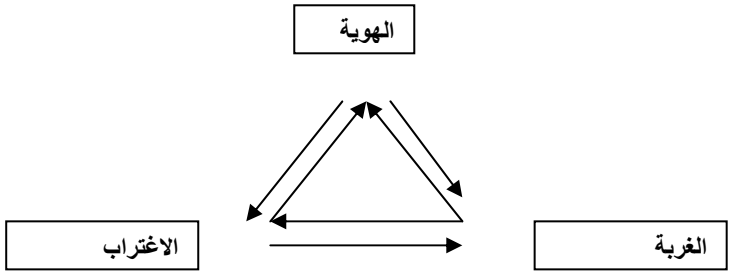

أولا : أنواع الغربة وأشكالها في رواية "كريماتوريوم"

1- الغربةالمكانية /المكان الذاكرة

ويقصد بالغربة المكانية "**ذلك الإحساس الذي يشعر به الإنسان في بعده عن وطنه**" [8] وأهله ، فيبقى الحنين هاجسا يتربص به ،ينغص عليه حياته ويحرمه من خوض تجربة النسيان ، فيغدو كورقة ذابلة يجرفها تيار الشوق والحنين إلى المجهول .لهذا حذرت "مي " ابنها "يوبا "من خطر الانجراف خلف ذلك الشعور الذي تملك وجدانها ، و الذي يشبه النفخ في الأشياء الميتة : "**احذر يا يوبا أن تنفخ في الأشياء الميتة ، اترك الأشياء الجميلة تموت كما تشتهي ، وإلا ستعيش معلقا بين حاضر منفلت وذاكرة تضيعك في دورتها ، ولا تمنحك إلا الألم.**"[9]

إن فضاء الوطن ، بكل ما يحيل إليه من جراح و آلام وأشواق سيظل الحيز المهيمن على كل الأماكن و الأفضية التي تسطع من خلال هذه المدونة ؛ فهو المكان الرحمي الذي يستوعب كل الأماكن الأخرى ؛ إنه هناك " **حيث الطفولة المسروقة ،والأشواق المسروقة ،**

والمدينة المسروقة ، والذاكرة المنهكة ، والحب المقتول "[10].

ويظل هذا الشعور بالغربة ، والإحساس بالحرمان من تراب الوطن ، ورائحة الانتماء والتجذر قائما ما دام هذا الوطن محفورا في الذاكرة بكل حاراته ، وشرفاته، وأبوابه ، ومحلاته إنه " **الحرم القدسي الشريف ، وقبة الصخرة (...) كنيسة القيامة ، الباب الجديد (...)وحارة الحطة** "[11].

- الغربة الزمانية

ونعني بالغربة الزمانية ، شعور الإنسان بأنه غريب ضائع في زمن أفقده مكانته [12]، والغربة الزمانية هنا تظهر وبشكل جلي وواضح في الشعور الذي انتاب "**مي**" إزاء تغير حالة المطعم الذي كانت تديره خالتها "**دنيا** " ، بسبب التغيرات التي أدخلت ، عليه ففي الزمن الآفل ، كان المطعم شبه أبرا يؤثثه بيانو " ريتشارد سن "وحيزا لعزف الموسيقى ، ومحبي الفن ، وملاذا للهاربين من ضيق الحياة ، أما في الزمن

الحاضر فهذا المكان لم يعد " **يكتسب قيمته برائحة الإنسان فيه و فعله الحضاري ، وقيمته التاريخية ، ولكنه أضحى سلعة تخضع لاقتصاد السوق** "[13] فلم تقف حجم التغيرات التي طرأت عند حد تغيير تسمية المطعم من(دنيا) إلى (عند ماجدة وسارة أكل شرقي سريع) فحسب ؛ بل بلغت هذه التحويلات حدا صار فيه " **المطعم يعج بالناس العوام القادمين من كل الجهات ، وحولت القاعات الثلاث إلى صالة واحدة لايسمع فيها إلا ضجيج الأواني** " [14].

فالزمن الماضي ، هو زمن الأصالة والجمال حتى الطعام فيه يغدو فنا ينافس فن الموسيقى .أما الزمن الحاضر ، فهو زمن مدنس زمن " **المصالح المادية ، والتحرر الاقتصادي ، والمضاربات المالية** "[15] زمن الربح السريع ، الأكل السريع، بدل الفن والذوق والإبداع ؛ فالزمن إذن صنع غربة المكان الذي قضت "مي" فيه سنوات من التعب والعمل من أجل أن يصبح كما كان عليه قبلا، فأصبح هذا المكان غريبا على "مي" وكأنها لم تعرفه من قبل.

ثانيا : أنواع الاغتراب و أشكاله في رواية " كريماتوريوم"

1- الاغتراب المكاني

تعد شخصية "**مي**" من أبرز الشخصيات التي عايشت بعمق تجربة الاغتراب المكاني ، وذلك منذ اللحظة الأولى التي وطأت فيها قدماها أرض المنفى " **في ذلك الصباح الذي بدالي غريبا وثقيلا و مليئا برائحة لأشمها للمرة الأولى ، عرفت فيما بعد أنها رائحة المنفى ، للمنفى رائحة تشبه رماد الحرائق** "[16].

وهذا المنفى ليس موحشا فقط من خلال مظهره الطبيعي الخارجي ، وذلك عبر الأوصاف المعتمة والمحزنة التي بدا من خلالها في هذه المدونة كقول السارد:" **الرياح والأمطار لم تتوقف منذ أسبوع ،ولم تعد شمس نيويورك تظلل بحيرة هودسن ،(...) لقد غزتها منذ الصباح الباكر أطياف الضباب التي محت كل المعالم وسطحتها ، وبدا كل شيء يعوم في ذرات صغيرة من الأنداء التي كانت تتهاوى قبل أن تلتصق بالأشجار والوجوه**" [17].

بل أيضا من خلال أوصاف أخلاقية منهارة ، وهو ما يشي به قول "مي ": " **لا أحد يستمع إلى أصواتنا المختنقة، وإلى جراحاتنا الغائرة لقد أصبح العالم الذي يحيط بنا خانقا مثل الجدار الميت ، وصامتا كصخرة ميتة. وهل يحتاج العالم إلى الكثير من الضجيج ليدرك العالم أن محرقتنا هي ضميره الميت؟** " [18] .

ولكن "مي " رغم تحفظها على كثير من الصفات الأخلاقية والطبيعية لهذا العالم (المنفى، الغرب) إلا أنها تحذر يوبا من التشبث بشرقها الذي عاشت تحلم به ، وهو ما يبوح به هذا الاقتباس: " **مازلت شابا ، وقد تمنحك الأقدار شرقا تشتهيه بقلبك وعقلك شرقي أنا سآخذه معي ، وهم لا حدود لجماله وسخائه وخيباته** ."[19].

2- الاغتراب الزماني

يبدو أن شخصية "مي" قد ألغت الزمن فلم تعد معنية بقياسه ، وكأنها تجردت منه إلى الحد الذي تلاشت فيه حدود الليل مع النهار ، حيث تقول الشخصية : **الليل والنهار تداخلا في ذهني بحيث أصبحت عاجزة عن التفريق بينهما** "[20] .

إن علاقتها بالزمن هنا علاقة اغترابية ؛ فهي تسعى إلى إلغاء الزمن وطمسه من الوجود إن أمكن و هذا ما يبدو من قولها : " **علاقتي بالزمن تغيرت، ما كان يبدو ثقيلا أصبح خفيفا ، وما كان خفيفا صار يمر بثقل وتأن** "[21]

3- الاغتراب الجسدي :

يعد الاغتراب الجسدي من أبرز أنواع الاغتراب البارزة في هذه المدونة بحيث " **تعاني الشخصية المغتربة من اتساع المسافة أو الهوة بينها و بين جسدها، وذلك عندما تشعر الذات أن جسدها هو السبب لحالة الاغتراب التي تعيشها الشخصية** " [22]؛ بحيث ينتج عن هذه الهوة إقدام شخصية مي على اتخاذ القرار بترك وصية توصي فيها بحرق جسدها بعد موتها ؛ لأن هذا الجسد في حالته المادية المكتملة سيحول دون تحقيق حلمها في الدفن في موطنها الأصلي (القدس) وهذا ما تعلله بقولها : " **الذين رفضوا منحي رخصة الدفن في القدس سهلوا علي مهمة هذه**

الخيارات .ليكن لقد قررت لأن أمنح جسدي للمحرقة لأرتاح نهائيا من شطط ثقيل لم أعد قادرة على تحمله " [23].

إضافة إلى ذلك ، فقد عاشت شخصية "مي" نوعا آخر من الاغتراب الجسدي وهو " **اغتراب تنقسم الذات فيه إلى ذاتين تتناوبان جسدا واحدا** "[24]، فهي أيضا تعيش هذه الحالة من الازدواجية بحيث ترى دائما أختها المتوفاة "لينا" بقربها ، وجوارها تعرف كل أسرارها وأخبارها ، تعاتبها وتملي عليها الأوامر وكأنها المسير لعواطفها وجسدها ، لكن هذه الشخصية في حقيقة الأمر ليست إلا " مي" ، وهو ما يؤكده قولها : " **لم يفهمني يوسف عندما قلت له إن لينا في انتظاري وراء الشجرة (...) ما فيه حدا بيقدر يشوفها غيري** "[25].

4- الاغتراب الجنسي

ويبدو هذا النوع من خلال بعض الطقوس الاغترابية التي تعد تعديا على مقدسات الجسد وحرماته ، والتي كانت "مي " قد اختبرتها منذ الطفولة لتصبح أمرا عاديا ، تعود إليه حتى بعد نضجها ، لتطور هذا الإحساس الجسدي والطقس الجنسي الاغترابي إلى لوحاتها لاحقا ؛إذ تقول الشخصية عن ذلك : " **(...) ونقلتها متخفية إلى لوحاتي ، محتفظة بسر جاذبيتها الكبرى لنفسي** " [26].

5- الاغتراب اللغوي

تعد اللغة حاملة لقيم حضارية، وآلية تفكير أفراد مجتمعها[27]؛ ولأن مي كانت تعيش مغتربة في بلد يمتلك لغة أخرى غير لغتها الأصلية، فقد برزت هذه الاستعارة لتلك اللغة الأجنبية في مواطن عديدة من هذه المدونة من مثل تسمية اللوحات بأسماء إنجليزية ك: "**BEREVEMENT WOLVES**" حداد الذئاب [28] أو في التسمية التي أطلقت على المطعم : **CHEZ MAGDA & SARA ORIENTAL FAST FOOD** أكل سريع عند ماجدة وسارة [29] أو في كلمة مامي –وهي التسمية التي أطلقتها "مي " على خالتها "دنيا" –**MAMI** [30] كما تذكر الأماكن أيضا بتسمياتها الأجنبية من مثل :**CITY WITHOUT WALLS** سيتي ويذ اوت ولز[31].

ثالثا : رد فعل الشخصية المغتربة

إن حالة الاغتراب لدى شخصية "مي " ، والتي تولدت نتيجة الغربة (المنفى) ونتيجة استئصالها من هويتها وجذورها و انتمائها ، لم تولد لديها حالة من اللامبالاة أو الانفصال عن المجتمع ، أو الثورة عليه ؛ بل ولدت لديها حالتين مختلفتين ومتناقضتين ؛ الأولى : حالة **الابتكار والإبداع والتجديد** ؛ والثانية: **الرغبة في الانصهار** – الوصية بحرق جسدها – .

أ – حالة الابتكار والتجديد

فإلى جانب الأسباب الأخرى التي دفعت ب"مي" إلى عيش هذه الحالة الاغترابية ، فقد كان إبداعها أيضا سببا آخر لبروز هذا النزوع لديها ؛ فمن "**المألوف وصف الفنانين و الأدباء بأنهم مغتربون ، هكذا كان الحال في الزمن القديم والحديث و مازال أيضا في الوقت المعاصر**" [32].لذلك أصبحت الريشة والألوان ، بشتى تدرجاتها الملاذ الآمن ل"مي " وأداة للتبرئة والتطهير وتحقيق الذات. ولكن ذلك الشعور بالاغتراب لا يلبث ويعود ثانية ، ولا خلاص لها من ذلك الشعور إلا بعمل جديد يتيح لها أن تخرج من انسحابها وفرديتها ، إلى دنيا الواقع و الناس لتجد نفسها من جديد . وهذا النوع من الاغتراب يعد إيجابيا ؛ لأنه يدفع صوب الإنتاج والحركة والإبداع المستمر [33]، فالفنان المغترب " **يتجاوز اغترابه بأن يستلهم من ثرائه الداخلي وخبايا اللاشعور ، مادة لأعماله الفنية (...) وحين يستقبل الجمهور المتلقي أعمال الفنان بالتقدير البالغ والإعجاب ، يتجاوز ما يعانيه من قلق و اغتراب** " [34].

لذلك أفنت "مي " حياتها بين الريشة و الألوان ، ولم تغادرهما حتى وهي تحتضر؛ حتى تضفي بألوانها بهجة على المكان الذي أجبرت على تمضية بقية حياتها فيه ، وتصف الساردة هذا الشعور الذي تعيشه قائلة : " **نحن نصنع ألوانا جميلة للأمكنة الباردة التي تشبه الموت ، لكي نتحملها** " [35].وهو ما يشي به أيضا وصف الساردة لمعنى الفن لديها ، فتقول : " **الفن يا يوبا (...) جرح تخرج منه شلالات النور**

والآلام اللذيذة ، ولهذا نهب نحوه بسعادة غريبة مثل ثور الأوركيدا الذي يركض نحو حتفه في الساحة وهو لا يدري ذلك أو يدريه " [36] .

ب- الانصهار (الحرق)

قد تميل الشخصية المغتربة في غالب الأحيان ، إلى اختيار طريق الانتحار " **باعتباره أسهل الطرق أمامها للخروج من الحالة الاغترابية التي تعيشها** "[37]، لكن شخصية "مي" خالفت تلك القاعدة ، فصمدت أمام المرض الفتاك الذي كان ينهش جسدها ويلتهم رئتيها بصمت و شراسة ، وقاومت المرض والغربة والاغتراب برسم ما تبقى من شظايا الذاكرة . ولكن المفارقة لا تلبث أن تثب في النهاية عندما تقرر "مي" ترك وصية تمنح بموجبها أعضاءها الحيوية إلى المحتاجين من مرضى ، فيما يتجه بقية جسدها إلى المحرقة ليصبح رمادا يذر.

لقد حاولت "مي" أن تلفت أنظار العالم الذي يحيط بها، إلى حجم الأسي والجراح التي يتخبط فيها جيل كامل من الفلسطينيين المهجرين والمغربين عن أوطانهم ، بإبداعاتها وأعمالها الفنية ، ورغم ذلك لم يستمع أحد إلى صوتها المختنق وجراحاتها الغائرة ، وبأن محرقتها هي "**محرقة تتكرر باستمرار دون أن يتأملها العالم** "[38]، وبعد أن طرحت أسئلة عديدة من مثل: "**ما الذي يخيف الناس من أن تدفن في أرضك؟ هل صارت حتى جثثنا مخيفة إلى هذا الحد؟**" [39]، ولأن السلطات رفضت أن تدفن في القدس ، فقد كان رد فعل هذه الشخصية أن قررت تحويل جسدها إلى رماد ليسهل بعد ذلك نقله و ذره في كل أرجاء فلسطين ، فتعلل مي سبب إقدامها على هذا الاختيار "**ليكن لقد قررت أن أمنح جسدي للمحرقة (...) لا نعود إلى تربتنا الأولى لنؤبن أنفسنا ونبحث عمن يدفننا ولكن لفتح العيون على كل اللحظات التي أخطأ البصر (...) رؤيتها في المرة الأولى**[40]

رابعا : الهوية المتشظية بين الوطن والمنفى

تنطلق إشكالية مي مع الهوية منذ الطفولة ، بحيث تعددت المسميات التي كانت توسم بها هذه الشخصية من مثل : **مانو ، ميشا ، مريوشا ، ميادة** ، وهو ما دفع "مي" إلى القول " **هويتي مبهمة هكذا يبدوا لمن يسمع إلى من يناديني . لم يتفق اثنان على اسمي** "[41].

لتتعمق هذه الأزمة – أزمة الهوية – لدى الشخصية عندما تفر من القدس مع والدها هربا من التقتيل نحو أمريكا بهوية مزيفة "**لينا ماركو**" ، ثم تتزوج بعدها بعالم آثار أمريكي أيضا.

فتبدأ "مي " رحلتها مع هذا التضارب والاختلاف في الانتماء ، بين هوية عربية بالأصل والمولد ، وبين هوية أمريكية بالمنبت و العيش، وهذا التذبذب بين هاتين الهويتين هو ما دفع بالشخصية إلى الشعور بتلك الحالة من التوتر والقلق أمام سؤال الشرطي في المطار وهو يقرأ جواز سفرها :" **مي...فلسطينية؟ أجبته بلا تردد :أمريكية ، نظر إلي بعينين حادتين :أسألك عن أصلك .قلت أمريكية (...) أمريكية.نعم ؟ تلك أرضي ولا أعرف غيرها ،ولا أدري إذا كنت بالفعل صادقة ولو جزئيا** "[42]. إن "مي " تعيش في متاهة كبرى ، فلا هي عربية تماما ولا هي أمريكية كما ينبغي . لديها عديد الخيوط التي تربطها بهوية الماضي ، وهو ما تؤكده السارة في قولها لابنها: " **أنت أمريكي ،ولا تعرف شيئا عن ماضيك السحيق إلا ما روي لك . حظ كبير أن تكون لديك مسافة لم أحظ بها لا أنا ولا جدك أنت تمتلك مالا يملكه الكثيرون (...) حضنا في أمريكا أن كل الناس على نفس الإيقاع ،كلهم غرباء وأبناء هذه الارض في الوقت نفسه** "[43].

ثم نجد بأن الشخصية نفسها توضح مدى انصهارها في هذه الثقافة الغربية إلى الدرجة التي بدأت تطمس فيها لغتها العربية إذ تقول الساردة عن ذلك :" **عربيتي بدأت تفقد الكثير من سحرها و ألقها** "[44].

إذن ف "**مـي**" حاولت أن تبدأ رحلة الاندماج في هذا الوطن الجديد –الغربة – ودليل ذلك أنها كانت توصي ابنها دائما بمحاولة نسيان الجذور والتأقلم مع الوضع الحالي إذ يقول "يوبا" " **قلت إن الجذور تجمد الإنسان في مكانه لدرجة التعفن** "[45]. ورغم هذه المحاولات في التماهي مع هذا العالم الجديد المفروض على الشخصية –مي – فقد ظلت هذه الأخيرة منجذبة إلى تلك الجذور التي قدمت منها؛ بحيث " **ظلت عربية على الرغم من غوايات نيويورك الجميلة** "[46].

إن هذه الشخصية ستظل دائما تحمل هوية هجينة ، حتى وإن كانت ذات أصول عربية " **فالهوية العربية التي تأكل الطعام الأمريكي ، وتقيم في الفندق الأمريكي ،وتحمل الشهادة الأمريكية (...) هي –شئنا أم أبينا – هوية فقدت الكثير من اختلافها ، هوية تعولمت إلى حد ما ، وهذا يعني أنها تشابهت مع غيرها** "[47]

خاتمة

أخيرا، يمكن أن نقول إن هذه الرواية المغتربة بشخصياتها وأماكنها وأزمنتها ، والباحثة عن شظايا الهوية المتناثرة بين عالمين متناقضين ، قد أثارت إشكالية مهمة، ولكن الستار قد أسدل عن هذه الرواية دون أن تعثر شخصياتها عن جواب حاسم لها–الإشكالية– : ما هو الوطن؟ هل هو مسقط الرأس بذكرياته المتزاحمة تارة والمختفية تارة أخرى؟ ، أم هو المهجر بكل سلبياته وإيجابياته؟ وأي هوية يمكن أن تُختار بين هذا وذاك؟ .

الهوامش

(1)–بوشوشة بن جمعة ، سردية التجريب وحداثة السردية ، المغاربية للطباعة والنشر ،تونس ، ط1/2005، ص 33.

(2)– واسيني الأعرج ، رواية كريماتوريوم –سوناتا لأشباح القدس – ، منشورات الفضاء الحر، الجزائر، ط1 / 2008، ص 11.

(3)– ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (غرب) ، المطبعة الاميرية ،بولاق ، ط1/ 1300هـ.

(4)– عمر بو قرورة ، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945–1962) ، منشورات جامعة باتنة ، دط، دت ، ص 15.

(5)- PAUL ROBERT, SOCIETE DU NOUVEAU LITTRE, 1978, P 730.

(6)– أحمد منور ، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، دط/ 2007، ص 13.

(7) – محمد العربي ولد خليفة ، المسالة الثقافية وقضايا اللسان والهوية – دراسة في مسار الأفكار في علاقتها باللسان والهوية ومتطلبات الحداثة الخصوصية والعولمة والعالمية –، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط م 2003، ص96.

(8)– أشرف على دعدور ، الغربة في الشعر الأندلسي –عقب سقوط الخلافة – ، دار نهضة الشرق ، القاهرة ، ط1 ، 2002 ، ص 22.

(9)– واسيني الأعرج ، رواية كريماتوريوم ، ص 50.

(10)– واسيني الأعرج ، رواية كريماتوريوم،ص22

(11)–واسيني الأعرج ، رواية كريماتوريوم ، ص **12**.

(**12**)– أشرف على دعدور ، الغربة في الشعر الأندلسي، **ص 23**.

(13)– محمد الباردي ، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة ، مركز النشر الجامعي ، تونس، دط /2004 ، ص 50.

(14)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص 307.

(15) – محمد الباردي ، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة ، ص 50.

(16) – واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص 164.

(17)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص295.

(18)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص920

(19) – واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص95.

(20)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص183.

(21)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص 203.

(22)– يحي العبد الله ، الاغتراب –دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية – المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،الأردن ، ط2005/1، ص 510.

(23)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص 119.

(24)– يحي العبد الله ، الاغتراب ، ص 52.

(25)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص 219.

(26)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص 91.

(27)– يحي العبد الله ، الاغتراب ، ص 208.

(28)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص 205.

(29)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص 307.

(30)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص 208.

(31)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص 401.

(32)– محمد عباس ، الاغتراب والإبداع الفني ، دار غريب للنشر والتوزيع ، القاهرة، دط/ 2004، ص 95.

(33)– المرجع نفسه ، ص 136.

(34)– المرجع نفسه ، ص136 .

(35)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص78.

(36)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص 31.

(37)– يحي العبد الله ، الاغتراب ، ص ص243.

(38)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص92.

(39)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص74.

(40)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص119.

(41)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص146.

(42)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص315.

(43)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص41.

(44)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص234.

(45)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، ص40.

(46)– واسيني الأعرج ، المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(47)–سعد البازعي ، شرفات للرؤية – العولمة و الهوية والتفاعل الثقافي –، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء /بيروت ، ط1/ 2005 ، ص ص41–42.